بسم اللّه الرحمن الرحيم

" توحيدُ ربّ البرايا تُزاحِمُه القضايا"

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد..

يعيش المسلون فتنا شتى لا تكاد تخمد فتنة إلا وتستشرف لها أخرى أشد منها فتكا وأعظم خطرا، وأشد هذه الفتن ما كان متعلقا بالدين وأشد ذلك خطرا ما مسّ جوهر العقيدة والتوحيد.

ولا يزال الله يختبر عباده ويمتحنهم كما قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢] فلا يكاد ينجوا منها إلا من دعا دعاء الغريق كما قال ابن مسعود رضي الله عنه.

والناس يعيشون في حياتهم قضايا فيها حق وباطل، وإن الشيطان يدرك حاجته في "القضايا الهجينة" لينفق تلبيسه وتدليسه على السذج الجهلاء كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية: «الباطل المحض لا يروج على الناس فإن النفوس تنفر منه ولا تقبل الباطل الا إذا كان معه شي من الحق» فالناس يبهرهم اللمعان لا الجوهر.

فأما العلماء الراسخون أهل السنة والجماعة، فيقومون في كل قضية بما أوجبه الله عليهم اتجاهها، ويعرضون عن الباطل الذي فيها.

وأما "الأحزاب السياسية" و"الحركات المنحرفة" فيحيلونها من كونها قضية من ضمن "قضايا الإسلام" إلى كونها "مركز الإسلام"، ومن كونها "جزء من واجبات الأمة" إلى كونها "محِور الولاء

والبراء".

فالخطر في هذه القضايا هو في "تمركزِها" فهي تسرق "المركزيّة" فتحولها من (التوحيد) إلى (القضية)، ومن "وسيلة" إلى "غاية"، ومن كونها "مسارًا" إلى أن تُصبح "معيارًا".

وهذا هو شأن كل قضيةٍ تحمل في جوفها ثنائية التناقض: حق وباطل، نور وظلمة، نصرة وظلم، فإذا لم تُضبط "بميزان الوحي" انقلبت الموازين من الولاء للدين إلى الولاء للشعارات، فيمدح كلّ من ناصرها ولو كان كافرا شيوعيا، ويذم من خالف في "كيفية مناصرتها" ولو كان موحّدا سنيا، فيصبح الرافضي شهيدًا لأنه شارك، ويصبح السُّني طريدا لأنه خالف.

فلم يَعُدْ الحق يُقاس بموافقتك للوحي، بل بموافقتك للقضية، فأصبحت القضية "مقدّسا عاطفيا" يتحول تدريجيا إلى "صنم فكري" يُنحت من الوهم حتى يصبح له حجيج ودعاء وثناء ودموع أكثر من العقيدة والتوحيد، كما قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]

وتلك من أخطر أنواع الوثنية، لا تُصنَع من حجر، بل من "شعارات" و"مواقف" و"حماس" و"عواطف".

وخطرها يكمن في: أنه يُعاد تعريف الخير والشر، والإسلام والكفر، والإيمان والنفاق والولي والعدو من خلال "مَن ناصر القضية" وليس من خلال "من ناصر توحيد رب البرية".

وهذا تغيير في البنية المرجعية للمفاهيم، **فلم تعد النصوص تُفسّر الواقع، بل بات الواقع يَفْرِض تفسيره على النصوص، فتُقرأ العقيدة من خلال الحدث، ولا يُقرأ الحدث من خلال العقيدة.**

وأما أهل السنة والجماعة فالقضية الحقيقية قضية منهج وعقيدة، لا قضية أرض وتراب، **والصراع الحقيقي صراع عقائد ومفاهيم، لا صراع معارك وحروب.**

فقضيتنا الكبرى هي توحيد الله والولاء والبراء عليه، وكل ما عداه فروع تدور معه حيث دار، يُقبل منها ما وافق الوحي، ويُردّ منها ما خالفه، فإنما جاءت الرسالات لأجل توحيد الله، لا لأجل قطعة أرض، ولا لأجل لافتة سياسية، ولا لأجل مُناضِل قاتل الصهاينة.

التوحيد أولًا، وآخرًا، وأبدًا، فلا يُبدّل بقضية، ولا يُشارك براية، ولا يُزاحم بمشهد ولا شهيد.

فإياك أخي المسلم أن تُسلم عقيدتك للعواطف، وضع الميزان حيث وضعه الله: الولاء لله، والبراء لله، والحب لله والبغض لله.. لا لمن وافقك في لحظة، أو ناصرك في قضية، أو صرخ كما تحب.

❖ **وكل قضية ينحرف الناس فيها على ثلاثة أصناف:**

فالأول: من كان منحرفا عن أصول أهل السنة كالجماعات الحزبية فيُقرِّب الكافر ويُبعد المسلم ويُمدح الرافضي ويُذم السُنّي.

الثاني: من كانت أصوله سلفية فانحرافه أن لايمدح الرافضي وإنما يمدح من يثني عليهم ويمجّدهم .!

فيموت من يُعظّم ويثني على "حسن نصر اللات" والخميني وقاسم سليماني فتجد هذا الشيخ "السلفي"! يثني عليه ويمجّده، وكأن توحيد الله لا يعنيه بشيء، وكأن عرض النبي ﷺ هامشي عنده؛ لأن المعيار عنده "القضية".

ويموت شيخ سني قضى عمره في تعليم الناس أمر توحيدهم وعقيدتهم فلا يذكره بشيء حتى بالرحمة! فهل تشكون في أن هؤلاء ممن ضلوا بهذه القضية.

فتجده يُبرر لمن ناصروا القضية، ويسكت عن ضلالهم بدعوى المصلحة والمواجهة، فالولاء أصبح مرحليًا، والعقيدة مؤجلة، والتوحيد قابل للترحيل.

فالتوحيد الذي يذوب تحت حرارة اللحظة، ويُعاد تشكيله تحت "ظرف المرحلة" ويُعرض عنه لأجل المواجهة = فهو توحيد مفتون.

وهناك **فريق ثالث**: لا يمدحهم، وإنما يسكت عن انحراف هؤلاء وضلالهم؛ لأنهم ناصروا "القضية".

وهذا الصنف وإن كان أخف منهم انحرافا إلا أنه أشد خطرا مما مضى، فهو الجسر الذي يعبر منه هؤلاء لضلالاتهم، ويحصل به ضعف العقيدة والولاء والبراء، فهؤلاء لا يشعلون النار ولكنهم أيضا لا يطفئونها.

فهذا الفريق هو "الحلقة المكسورة" في سلسلة التوحيد، وهو الثغرة التي يُخترق منها الوعي السني، فتبقى العقيدة عرضة للتآكل التدريجي.

فينخر السوس في جدار التوحيد من الداخل حتى يتسلل إلى القلوب مزيجٌ غريب من الشرك العقدي والتعاطف السياسي، ويُصاغ ولاءٌ جديد لا تُعرف ملامحه من الوحي، بل من التفاعل الجماهيري!

فالسكوت عن أهل الانحراف ليس حيادًا ولا مصلحة، بل هو إعادة برمجة لأجيال صاعدة لا تُفرق بين التوحيد والانتماء.

ولما مات "أبو طالب" عم النبي ﷺ وهو الذي ناصر القضية نصرا مؤزرا بل لا يُعرف كافرٌ ناصر الإسلام والمسلمين كأبي طالب، لما مات قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «يا رسول الله: إن عمك الشيخ الضال مات» فقال النبي ﷺ: «اذهب فادفنه».

فهذا علي رضي الله عنه يقول عن أبيه وعمن ناصر قضيتهم بنفسه وماله ودافع عن الرسول ﷺ بكل ما يستطيع يقول عنه (الضال).! والنبي ﷺ يسمع! وهذه عبرة لنا وتعليم: أن نقول للضال: أنت ضال ولو كان مناصرا لقضيتنا، ولو تُجُنِّبَت بعض الألفاظ لمناصرة القضية لتُجُنِّبَت في حق أبي طالب.

فيموت الضال المناصر للنبي ﷺ فيوصف بالضلال، ويموت الضال المناصر "للقضية" فيوصف بالبطولة والشهادة !

والحمد لله رب العالمين

وكتبه د. حسن صنيدح العجمي

الأحد، ١٨ محرم، ١٤٤٧ هـ الموافق: ٢٠٢٥/٠٧/١٣م